

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يترأس افتتاح الدورة الاولى من السنة التشريعية الجديدة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله واله وصحبه

جرت العادة عند افتتاحنا لدورتكم في شهر اكتوبر ان نتطرق الى موضوع عام يدرس قضايا مختلفة ثقافية واقتصادية، أو يطرح على بساط التدارس مشكلة اجتماعية او وضعاً سياسياً.

وكنا قد اعددنا لدورتنا هذه موضوعاً يدور حول المشروعية اين تبتدىء واين تنتهي شكلياً، وماهي امتداداتها الخلقية والسياسية جماعياً وفردياً، الا ان هناك حادثاً قد حدث، ورأينا من واجبنا ان نتطرق اليه وان نخاطبكم وشعبنا العزيز في هذا الموضوع الذي نعتبره خطيراً جداً، اخطر بالنسبة لنا من ضياع الصحراء او التخلي عن سبتة ومليلية، الا وهو موضوع العبث بأرقام الاغلبية الشعبية والتجاهل لما ارادته الجماعة، جماعة الامة الاسلامية.

قرأنا في الصحف وبلغنا ان ثلة من النواب كتبوا الى رئيس مجلس النواب رسائل انفرادية يعربون فيها عن تخليهم عن منصبهم النيابي، وذلك تبريراً لكونهم يعتبرون ان مدة انتدابهم قد انتهت، فماذا يترتب عن موقف كمثل هذا الموقف ؟

أولا — هذا الموقف الذي هو ضد الدستور وضد الجماعة الاسلامية المسلمة يجعل منا — كملك البلاد وامير المؤمنين والساهر على وحدة التراب الوطني فكرياً ومعنوياً وعلى سير المؤسسات الدستورية — نحن الذين قدمنا القسم مرة كولي العهد ومرة كملك الرجل المطوق احب ام كره، بالسهر على مؤسستنا.

وثانيا — للنظر كيف يمكن ان يوضع حد لعبث العابثين واستخفاف المستخفين.

ولننطلق في دراستنا الدستورية، وانا شخصيا خجل جداً، لأن المغاربة هم الذين سيكونون قد اعطوا الصورة الاولى لهذه المشكلة الدستورية التي لم تقع في اي مكان في الشرق او الغرب، في افريقيا وآسيا أو اوربا او امريكا، وأراد الله وارادت الاقدار ان تبتلينا وان تجعل منا نحن اول دولة يدرس في الدراسات الدستورية الواقعة التي وقعت، الا وهي استخفاف جماعة برأي الجماعة، وبرأي جماعة المسلمين.

فاذا نحن سكتنا عن هذه القضية فسنصبح اولا فاتحين الباب للفوضى وتاركين للمغاربة ان يختاروا من القانون ما يعجبهم ويرفضوا منه ما لا يوافقهم، وهذا شيء خطير كما قلت لكم، انه يفتح باب الفتنة، الفتنة المشار اليها في القرآن : «والفتنة اشد من القتل».

ثانيا — يقول الدستور وينص على ان نتائج الاستفتاء تلزم الجميع، بل ذهب الدستور الى اقصى حد حينما نص على انه فيما إذا وقع — لاقدر الله — عدم التوافق بين مشروع قانون مرة في مجلس الوزراء وبين البرلمان فيطرح الاختيار امام استفتاء الأمة، واذ ذاك إذا كانت الامة موافقة لرأي البرلمان بمعنى نتيجة الاستفتاء، تلزم ملك البلاد.

وأخيرا معنى هذا ان ستة ملايين ومئة وثلاثين ألف مغربي التي صوتت بنعم في العام الماضي اصبحت

لا توازن اي شيء وقيمتها لا شيء، ووزنها غير شيء امام الارادة، ارادة الشعب.

حقيقة هذا استهتار واستخفاف، ومن واجبنا كملك ان نرجع الامور الى نصابها، واننا نفكر في كيفية الزجر، لأننا لم نضع قانوناً حينما وضعنا الدستور ايماناً منا اننا لن نجد امامنا ناساً مستخفين ضالين ومضلين، ولو كنا نعلم هذا لوضعنا نصوصاً زجرية، ولكن اذا كان الملك الدستوري لا يمكنه ان ينظر في الأمر، فأمير المؤمنين ــ وذلك بواجب الكتاب والسنة ــ عليه ان ينظر في ذلك لأن القرآن يقول : «وامرهم شورى بينهم» و «شاورهم في الأمر»، فشاورنا جماعة المسلمين المغاربة حينما طرحنا عليهم الاختيار بواسطة الاستفتاء فأعطونا ــ احراراً غير مضطرين ــ اختيارهم، فاذن «وشاورهم في الامر» و «اذا عزمت فتوكل على الله»، لأن هؤلاء خرجوا عن جماعة المسلمين، رأينا اشخاصا خرجوا من برلمانات، وقرأنا مثل هذا وتعلمناه في المدارس وفي الكليات، ولكن يخرجون احتجاجا على عدم احترام قانون داخلي، أو على عدم الأخذ برأي المعارضة او الاقلية، اما ان يخرجوا من الساحة القانونية التي تعبر عن ارادة الشعب المغربي اعتباراً منهم بأن القانون الذي هو أسمى تعبير للسيادة المغربية لا يعنيهم فخطير، فاذا كان القانون لا يعنيهم فلماذا سيحميهم، فمن تجاهل القانون تجاهله كله

اما ان أقول بوجود قانون حتى تبقى ممتلكاتي في امن، وحتى اخرج واذهب للسوق او للسينما وأرجع الى بيتي في امن، وحتى يؤدى الأجر للشرطي ليسهر على امني، وحتى يؤدى الاجر للعسكري ليسهر على سلامة حدودي فطيب، ولكن قانون آخر لا اعرفه «يومنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض» فمن جهل القانون عليه ان ينتظر ان يجهله القانون.

وحينما اقول هذا، اقوله واعلم ما أقوله، وكلكم يعلم إن الحسن خديم المغرب قلبه ملىء رحمة لا قسوة، والكل يعلم ذلك، ولكن ارجو من شعبي العزيز ومنكم حضرات السادة ان تعطوني انتباهكم كلياً، من شرع الدستور ؟ عبد ربه وخديم المغرب، ومن اختار ان نعيش في اطار دستور ؟ عبد ربه وخديم المغرب. طيب، ولكن قبل الدستور هل كان هناك فراغ ؟ لا، كان الدستور فيه ما هو مكتوب وفيه ما هو تقليدي، وكان المغرب ــ ولله الحمد ــ يسير في طريقه وسار في طريقه مدة اربعة عشر قرنا، تلك المدة وافق سيره النجاح والعظمة ووافق سيره بعض المرات نكبات ونبوات، ولكن حينما نكيف التاريخ ونجسمه نرى ان معدل السير كان سيراً مشرفاً يباهي به اي مغربي مغربي الام مسلمة وغير مسلمة.

نعم في يوم من الايام جاء الحسن عبد ربه وخديم امته، وقال : سنترك ما كنا وما كان عليه آباؤنا وسنبني اطاراً جديداً للتعايش والتعامل، ولكن اذا نحن سكتنا عما وقع ماذا سيصير ؟ فسنكون قد فرطنا في دستورنا القديم ولم نجعل لدستورنا الجديد الحرمة اللائقة به، تلك الحرمة التي اريد ان يصل لها بلدي، بي او بدوني الى آخر القرن العشرين وان يخترق القرون المقبلة، يحترم فيها القوي الضعيف، لأن وراء الضعيف الحق والقانون، اما اذا تركت هذا الشيء كما هو ولم اقومه من اعوجاجه، فلا أريد ان يكتب عني فلان بدأ أشياء ولكن لم يسر بها الى النهاية.

فاذا نحن اخترنا الدستور ــ واقول هذا لكم جميعاً ــ الذي نعيش في ظله او أي دستور فعلينا ان نحترمه، وعلينا ان نضرب على يد كل من لا يحب ان يحترمه، واذا اردنا ان نرجع الى تقاليدنا، تلك التقاليد التي جعلت منا ــ ولله الحمد ــ امة شامخة لنرجع اليها، فاما ان نبقى ــ كما يقول الاوربيون ــ جالسين بين كرسيين فلا يمكن ابدا ــ وعرق ينبض في ــ ان أقبل هذا. أولا : كمغربي، وثانيا : كمسؤول شخصيا ودستوريا على



المحافظة على كيان الدولة ومؤسساتها ودستورها.

والآن اتوجه الى جميع الاشتراكيين في العالم غربيين او غير غربيين لأقول لهم :

انظروا مصيبة المغرب، انظروا مشكلة الحسن الثاني، ها نوع المعارضة الذي عنده. مصيبة حقيقة، نوع المعارضة التي عند الحسن الثاني والتي عند الحكومة المغربية والتي عند البرلمان، لا تقبل الديمقراطية، ولا تقبل حكم الأرقام وتخرج عن جماعة المسلمين وتختار في الحقوق والقانون ما يعجبها وتترك، ما لا يعجبها، يقول لها المغرب باسمي وباسم القانون، وارجو ان يقول لها كذلك المغرب باسم من انتخبوه، والا ستصبحون كلكم تلعبون على الذين انتخبوكم، يلزم ان نقول لهم : لا، القانون لا اختيار فيه، القانون بعد الدين هو كل، يؤخذ كله او يترك كله، ولكن سندافع عن القانون كله.

ولنرجع اذن الى العالم الذي ينظر الينا وأقول لهم حذار حذار من الالفاظ الجوفاء ومن المواقف الفارغة، مع الأسف الشديد وانا أقولها وأنا حقيقة خجلان، ولكن يأتي حين في اعمار المسؤولين اذا كان لهم ضمير فيجب ان يمشوا فيه حتى على عواطفهم، وحينما اذكر المغاربة كيفما كانوا احس كأنني امشي على جسدي، وانني اقطع اصبعي او أمزق احشائي، ولكن الحقيقة هي الحقيقة. أقول لأولئك الملاحظين الاشتراكيين بالخصوص غربيين كانوا او شرقيين افارقة كانوا او اوربيين، انظروا ها نوعية الاشتراكيين الذين تدافعون عنهم او الذين بواسطتهم ومن جرائهم تنصبون المغرب كأنه يذبح ويقتل ويشرد ولا يعطي اية قيمة لأي بشر. اقول : لا، المغرب — والحمد لله — احسن من هذا وذاك.

قلت لكم في بداية الامر حضرات السادة، انني كنت أود ان لا أتطرق الى هذا الموضوع، ولكن من واجبي ان اتطرق، ألا هل بلغت ؟ ارجو الله ان تكونوا قد فهمتم تماما الدافع لتدخلي، لايمكن ان اسكت عن هذه القضية، حاولت ان أجد العمل القانوني، مع الأسف لم أجد سابقة في التاريخ لأية دولة كانت، ولكن لا يمكن ان يبقى في فرح ومرح من استخف بارادة ستة ملايين ومئة وثلاثين الف مغربي، فاذا كان الامر سيصير الى هذه الميوعة والى هذا التلاشي فانني لا ابشركم بالصحراء قد ذهبت ولا سبتة ومليلية لن نسترجعهما، ابشركم بذهاب المغرب، لأن الدولة التي لا تحترم تقاليدها وقراراتها وما اراد شعبها، دولة معرضة للزوال او التفكك.

جغرافيا سيبقى المغرب، ولكن سيصير كل واحد منا حينما يضع علامته أو تأشيرته على اي ورقة — عمومية كانت أو خصوصية — يضحك على نفسه، علماً منه ان فلان الذي سيسلمه البطاقة لن يحترم علامته، كما انه لا يحترم اي قانون ولا اية ارادة شعبية.

اذكر ان الفرنسيين كانوا ضغطوا في سنة 1951 ثم في سنة 1953، على أب المغرب الراحل، محمد الخامس والدنا طيب الله ثراه، ليندد بطائفة من المغاربة الا وهي حزب الاستقلال، وكان جواب والدي رحمة الله عليه، انا أمير المؤمنين وذلك الحزب لم يخرج عن جماعة المسلمين، فلا يحق لي ابدا ان أتبرأ منه، وأنا حينما افعل هذا واقول ما اعلم، لا أتبرأ من الاتباع، ولكن كأمير المؤمنين اتبرأ من أولئك الذين كانوا قاعدين هنا وخرجوا من هنا مستخفين بقوانين الدولة، ومستخفين بنتائج الاستفتاء، ومستخفين بجماعة المسلمين، ومستخفين بكيفية نهائية بمستقبل المغرب كبلد منظم يعيش في قانون ودستور وديمقراطية.

أظن حضرات السادة انني قد أخذت من وقتكم ما يكفي لتتفهموا هذه المشكلة، وقد رأيت في اعينكم وعلى وجوهكم انكم فهمتموها، ولكن الشيء الذي اعرفه يقينا وهو أن عشرين مليونا الذين يرونني الآن على



شاشة التلفزيون مباشرة هؤلاء فهمت انهم فهموني، وانني لأشكرهم جزيل الشكر، اشكر شعبي العزيز واحداً واحداً على تماسكهم في التناصح وفي النصح، وما بلغني اليوم من عدم التضحية بأضحية العيد بكيفية تكاد تكون جماعية وعامة ليجعلني فخوراً ان اكون على رأس هذه الأمة لأخدمها، فاذا كنت على رأسها فلأكون حاملا لها على كتفي وعلى عاتقي مادامت الروح تجري في الجسد، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان خيط الاستفتاء غير مكتوب ولا مضبوط، ولكن الاستفتاء العاطفي مازال وسوف يظل ان شاء الله سائداً يجري مجرى الدم بين شعبي وبين خادم شعبه.

يحكى ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فسأله عن عواطف اسرته نحوه، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال : استفت قلبك، وشعبي العزيز هو قلبي النابض، وحينما استفتيه دائما يرد علي بنعم وبالاستجابة، والاستجابة السريعة الفاهمة العاقلة المتعقلة.

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، انك انت الوهاب». صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الجمعة 10 ذي الحجة 1401 — 9 أكتوبر 1981